

أَبُو عَدْنَانَ .. عَالِمًا، مُفَكِّرًا، وَأَدْرِيًّا

لم تكن تجربة سماحة آية الله السيد محمدرضا السلطان الموسوي (أبو عدنان) مجرد مسيرة علمية تقليدية تشكّلت داخل أروقة الدرس الحوزوي، ولا كانت سيرته محصورةً في حدود التأليف والبحث والتدريس فحسب، بل تبدو، عند التأمل العميق في مجمل نتاجه العلمي والأدبي، تجربة إنسان عاش المعرفة بوصفها قدرًا روحانيًا ورسالةً وجوديةً كبرى، حتى غدت حياته نفسها نصًّا ممتدًّا من الوعي، والتأمل، والعشق المعرفي، والالتزام الأخلاقي، والانحياز الدائم إلى الكلمة التي تبني الإنسان قبل أن تُبهره.

إن القارئ لقائمة مؤلفاته وما ارتبط بها من سنوات طويلة قضاها في بحوث الخارج، يدرك سريعًا أن زمامه أمام شخصيةٍ تشرّبت العلم من منابعه الكبرى في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وتلمذت على أيدي نخبةٍ من أعلام الحوزة العلمية المعاصرة الذين شكّلوا، كلٌّ في مجاله، أعمدةً راسخةً في الفكر الإمامي الحديث.

لقد ارتبطت رحلته العلمية بأسماء ذات وزنٍ استثنائي في البنية العلمية للحوزة المعاصرة؛ فحضر بحوث آية الله العظمى الشيخ محمد فاضل اللنكراني، أحد كبار فقهاء الاستدلال في العصر الحديث، المعروف بعمقه الأصولي وصلابة منهجه الفقهي، كما لازم دروس آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الذي مثّل نموذجًا فريدًا في الجمع بين الفقه، والتفسير، والانفتاح الثقافي والاجتماعي، إلى جانب حضوره الواسع في ميدان التجديد الفكري والتأليف الموسوعي.

وتتسع هذه الرحلة لتشمل التلمذ على آية الله العظمى الشيخ الوحيد الخراساني، أحد أعمدة المدرسة الأصولية المعاصرة وأكثرها عمقًا ودقةً في البحث والتحقيق، فضلًا عن الإفادة من بحوث أعلام كبار أمثال آية الله العظمى الميرزا جواد التبريزي، وآية الله الشيخ حسين المنتظري، وآية الله العظمى السيد محمد الروحاني، وآية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي، وآية الله العظمى السيد أبو القاسم الكوكبي، وآية الله الشيخ جواد الأملي، وآية الله الشيخ محمد الصادق الطهراني، وآية الله العظمى الشيخ المقدّس محمد تقي بهجت، وآية الله السيد محمد تقي مصباح اليزدي، وآية الله العظمى الشيخ حسين النوري الهمداني، وآية الله العظمى السيد لطف الله الصافي الكلبيكاني، وآية الله العظمى الشيخ حسين المظاهري الإصفهاني، وآية الله الشيخ النوري المحمدي، وآية الله الشيخ علي أكبر فيض المشكيني، وغيرهم من الأسماء التي تركت أثرًا بالغًا في الفكر الإمامي الحديث، فقهيةً، وأصوليةً، وعرفانيةً، وتفسيريةً، وأخلاقيةً.

ولم يكن هذا التلمذ مجرد حضورٍ دراسيٍّ عابر، بل كان معيشةً طويلةً لمنهج متعددة، ومدارس متباينة في طرائق التفكير والاستدلال، الأمر الذي صقل شخصية "السيد أبو عدنان" ومنحه قدرةً نادرةً على الجمع بين أصالة التراث، ومرونة القراءة، وعمق النظر، وسعة الأفق. ولعلَّ من اللافت في هذه المسيرة أن عددًا من هؤلاء الأعلام قد أجازوه بالاجتهاد، وهو ما يكشف عن المكانة العلمية التي بلغها داخل الوسط الحوزوي، وعن مستوى الثقة العلمية التي حازها لدى كبار المراجع والأساتذة.

ومن هنا، فإن شخصية "السيد محمدرضا السلطان" لا تبدو شخصية "باحثٍ تقليدي" يكتفي بإعادة إنتاج الموروث، بل شخصية عالمٍ مفكرٍ تشكّلت رؤيته عبر احتكاكٍ عميقٍ بالمدارس الفكرية والفقهية المختلفة، حتى غدا مشروع العلم أقرب إلى مشروع بناءٍ معرفيٍّ متكامل، يحاول أن يصل بين النص والواقع، وبين الفقه والحياة، وبين التراث وأسئلة العصر. فهو لم يكن يومًا من أولئك الذين يتوقفون عند حدود التلقي والتقرير، بل يبدو، من خلال تنوع عناوينه ومجالات اشتغاله، صاحب عقلٍ قلقٍ بالأسئلة الكبرى؛ عقلٍ كان يرى في المعرفة مسؤوليةً حضاريةً لا وظيفيةً ذهنيةً فحسب. ولذلك لم تنحصر

مؤلفاته في دائرة البحث الفقهي والأصولي التقليدي، بل انفتحت على قضايا الإنسان، وبناء الوعي، وإصلاح الذات، وتحصين المجتمع، وإحياء الحسّ النقدي، وصناعة الحوار، وإعادة تعريف دور الحوزة والعالم والمثقف في زمن التحولات الكبرى.

فحين يكتب عن "الحوزات العلمية أدوار ومعطيات"، فهو لا يكتب بوصفه مراقبًا خارجيًا، بل بوصفه ابنًا عميق الانتماء إلى هذا العالم، يعرف أوجاعه وتحولاته وأسئلته الداخلية. وحين يتناول "المرأة بين الواقع والتحديات"، أو "خلاصات نقدية في وعي الذات وبناء الشخصية"، فإنه يكشف عن وعي اجتماعي وثقافي يتجاوز الحدود الضيقة للخطاب التقليدي، ليدخل في صميم سؤال الإنسان المعاصر: كيف يمكن للمعرفة أن تعيد بناء الإنسان من الداخل؟ وكيف تتحول العقيدة إلى وعي، والوعي إلى أخلاق، والأخلاق إلى مشروع حياة؟

ومن هنا، فإن شخصية "السيد محمدرضا السلطان" تبدو أقرب إلى نموذج "العالم المفكر" لا "العالم المدرّس" فقط؛ ذلك النموذج الذي لا يكتفي بإنتاج الأحكام أو إعادة تدوير المفاهيم، بل يسعى إلى إنتاج الرؤية نفسها، وإعادة قراءة الواقع بعينٍ تمتلك جذور التراث وقلق الحاضر في آنٍ معًا.

غير أن الجانب الأكثر إدهاشًا في هذه الشخصية لا يكمن في غزارة بحوثه ومؤلفاته وحدها، بل في ذلك التزاوج النادر بين العقل الفقهي الصارم، والروح الشعرية الهائلة بالجمال والإنسان والحنين. فإلى جانب هذه الرحلة العلمية الثقيلة، يقف "أبو عدنان" شاعرًا غزير العطاء، واسع الخيال، متدفق الوجدان، حتى إن دواوينه الشعرية المنشورة وغير المنشورة تكاد تشكل عالمًا أدبيًا مستقلاً بذاتها؛ عالمًا يفيض بالوفاء والعاطفة، والرمز، والتأمل، والانتماء، والوجد الروحي، والإنسانيات العميقة.

ولعلّ من أعمق ما يمكن ملاحظته في مشروعه كلاًّ أنه لم يكن يعيش ازدواجية العالم والشاعر، بل كان يوحّد بينهما في نسيجٍ واحد؛ فالعلم عنده لم يُطفئ الحسّ الجمالي، والشعر لم يُضعف صرامة الفكر، بل بدا كلاهما يغذي الآخر ويمنحه أوسع. ولذلك تبدو شخصيته أقرب إلى صورة "المثقف الرسالي الشامل"؛ ذلك الإنسان الذي يحمل في داخله الفقيه، والمفكر، والأديب، والناقد، والشاعر، والمربي، دون أن يطغى صوتٌ على آخر.

ولعلّ الناظر في قائمة مؤلفاته، الممتدة بين بحوث الخارج، والدراسات الفكرية، والأبحاث العقائدية، والقراءات النقدية، والسير العلمية، يدرك أننا لا نقف أمام قلمٍ يكتب في حقلٍ واحد، بل أمام مشروعٍ معرفيٍّ متعدد الروافد، تتجاوز فيه أسئلة الفقه مع هموم الإنسان، ويتعانق فيه الوعي النقدي مع الحسّ الأدبي، حتى غدت هذه المؤلفات نفسها سجلاً حياً لمسيرة علمية وفكرية وأدبيةٍ قلّ نظيرها في زمننا المعاصر.

ومن هنا، تأتي الصفحات الآتية بوصفها إطلالة موجزة على جانبٍ من هذا النتاج المتنوع، الذي توزّع بين البحث الحوزوي، والتأليف الفكري، والكتابة الأدبية، والتأملات الإنسانية:

قَائِمَةٌ بِمُؤَلَّفَاتِ سَمَاحَةِ آيَةِ اَللَّهِ اَلْعَظِيمِ اَلْمُحَمَّدِ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُ
اَلْمُؤَسَّسِ
اَلْبُؤْرَةِ اَلْعَدْنَانِ

٠م

العنوان

المدة الزمنية

١.

بحوث الحج لآية الله العظمى الشيخ محمد فاضل اللنكراني

٧ سنوات

٢.

بحوث القضاء والحدود لآية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

٤ سنوات

٣.

بحوث الأصول لآية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

٤ سنوات

٤.

بحوث الأصول لآية الله العظمى الشيخ الوحيد الخراساني

٤ سنوات

٥.

بحوث الظن لآية الله العظمى الميرزا جواد التبريزي

سنة واحدة

٦.

بحوث فقه لآية الله الشيخ حسين المنتظري

سنة واحدة

٧.

بحوث فقه لآية الله العظمى السيد محمد الروحاني

سنة واحدة

٨.

بحوث أصول عملية لآية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي

٣ سنوات

٩.

بحوث الفقه (مكاسب محرمة) لآية الله العظمى السيد أبو القاسم الكوكبي التبريزي

سنة واحدة

١٠.

بحوث فقه الصلاة لآية الله العظمى الشيخ المقدس محمد تقي بهجت

سنة واحدة

١١.

بحوث في التفسير لآية الله الشيخ جواد آملی

سنتان

١٢.

بحوث في التفسير لآية الله الشيخ محمد الصادق الطهراني

سنة واحدة

١٣.

بحوث فلسفية لآية الله السيد محمد تقي مصباح اليزدي

سنتان

١٤.

بحث تأخير صلاة الفجر في الليالي المقمرة لآية الله العظمى الشيخ حسين النوري الهمداني

بضعة أشهر

١٥.

بحوث فقه لآية □ العظمى السيد لطف □ الصافي الكلبايكاني

بضعة أشهر

١٦.

بحوث أخلاق لآية □ العظمى الشيخ حسين المطاهري الإصفهاني

عدة سنوات

١٧.

بحوث أخلاق لآية □ الشيخ النوري المحمدي

عدة سنوات

١٨.

بحوث في أصول الفقه والأخلاق لآية □ الشيخ علي أكبر فيض المشكيني

-

وغيرهم ممَّن تشرف بالحضور عندهم في محطاتٍ قد تبدو قصيرةً بمقياس الزمن، لكنها كانت بالغة الثقل والأثر في

ميزان العلم والمعرفة.

المؤلفات العلمية والفكرية

٠م

العنوان

١.

بحث في التقية

٢.

مسألة الوقف بين النظرية والتطبيق

٣.

شرح آيات الأحكام الفقهية

٤.

شرح وجيزة الشيخ البهائي في الدراية

٥.

رسالة مختصرة في علم الرجال

٦.

رسالة في علم النحو

٧.

دروس في علم الأصول

٨.

حيثيات في معرفة الفقيه

٩.

مقدمات في الحوار الهادف

١٠.

الحوزات العلمية أدوار ومعطيات

١١.

المرأة بين الواقع والتحديات

١٢.

خلاصات نقدية في وعي الذات وبناء الشخصية

١٣.

بحث عقدي (شفاة الزهراء (ع) لمن)

١٤.

الموازن (حوار في القيمة والتفعيل)

١٥.

الأحايين (خواطر نثرية وتأملات فكرية وأدبية)

١٦.

كنت وما زلت (خواطر نثرية وتأملات فكرية وأدبية)

١٧.

من مسرح الأحداث (تأملات فلسفية ووجدانية)

١٨.

منبر الجمعة (موسوعة من عشرة مجلدات ضمت حصيلة ثمان سنوات من خطب الجمعة في جامع الإمام الحسين(ع))

سَيَرُّ الأَءَلامَ

١.

عندما يغيب الملاك (في سيرة آية الله السيد حسين الخليفة)

٢.

إشراق الشمس (في سيرة آية الله العظمى الشيخ الأوحى الأحسانى)

٣.

أرقام فارسية

٤.

الدر المنثور في ترجمة ابن أبي جمهور

٥.

البصمات الرضوية (في سيرة آية الله السيد علي السيد ناصر السلطان)

٦.

فريدة المساء في واحة الأحساء

إننا أمام تجربةٍ يصعب اختصارها في قائمة مؤلفات، أو عدد دواوين، أو سنوات دراسة، لأنَّ المسألة أعمق من ذلك بكثير. نحن أمام مشروعٍ إنسانيٍّ طويل، تشكَّل عبر عقودٍ من القراءة، والبحث، والتأمل، والكتابة، والتفاعل مع الناس والحياة والواقع. مشروعٌ حاول أن يبنى جسراً بين التراث

والحدائث، بين العقل والقلب، بين النصِّ والحياة، بين المعرفة والجمال.

لقد بدا "السيد أبو عدنان" في مجموع تجربته أشبه برجلٍ عاش داخل مكتبةٍ كبرى، لكن قلبه ظل مفتوحاً على الإنسان، وعلى الحنين، وعلى الشعر، وعلى القيم الكبرى التي تمنح المعرفة معناها الحقيقي. ولذلك فإنَّ الحديث عنه لا ينبغي أن يكون حديثاً عن "مؤلِّف" فحسب، بل عن حالةٍ ثقافيةٍ وروحيةٍ وفكريةٍ نادرة، استطاعت أن تجعل من الكلمة رسالةً، ومن المعرفة حياةً، ومن الشعر امتداداً آخر للحقيقة.